ثم قال لابنه عيسى الحق بعمك بمكة فاخبره بما صنع بي أهل العراق ودعني فاني
مقتول فقال لا والله لا يتحدث الناس اني اسلمتك للقتل ابدا قال فتقدم يا بني بين
يدي فاني احتسبك وقد كنت اعرف فيك الكرم وانت في مهدك فتقدم فقاتل حتى
قتل وتحول اهل العراق بوجوههم وصاروا مع عبد الملك وبقي مصعب في شرذمة
قليلة فجاء عبيد الله بن زياد بن ظبيان وكان من اصحابه فقال له اين الناس ايها الامير فقال
غدركم اهل العراق فرفع يده عبيد الله ليضربه فبدره مصعب فضربه على البيضة
فلبث السيف في البيضة وجاء غلام لعبيد الله فضرب مصعب فقتله ثم جاء عبيد الله براس
مصعب الى عبد الملك بن مروان وهو يقول شعر

٥ نطيع ملوك الارض ما اقسطوا لنا ٥ وليس علينا قتلهم بمحرم ٥

قال فلما نظر عبد الملك الى الراس خر ساجدا فقال عبيد الله ما ندمت على شي ندمي على عبد الملك
حين خر ساجدا ولم اضرب عنقه فاكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد وفي ذلك
يقول عبيد الله بن زياد حيث يقول شعر

٥ هممت ولم افعل وكدت وليتني ٥ فعلت فاذهبت البكا لاقاربه ٥
٥ فاوردتها في النار بكر بن وائل ٥ والحق من قد خر شكرا بصاحبه ٥

قال عبد الملك بن عمير كنت عند عبد الملك بن مروان بقصر الكوفة حين جيء براس مصعب
بن الزبير فارتعدت فرائصي فقال مالك فقلت اعيذك بالله يا امير المؤمنين كنت بهذا
القصر مع عبيد الله بن زياد فرايت راس الحسين بن علي بين يديه بهذا الموضع ثم كنت فيه مع
المختار فرايت راس عبيد الله بن زياد بين يديه بهذا الموضع ثم رايت راس المختار بين يدي
مصعب في هذا الموضع ثم رايت راس مصعب بين يديك فقام عبد الملك من موضعه
ذلك وامر بهدم ذلك الطاق الذي كان فيه ثم قال عبد الملك هذا سيد شباب قريش
فقيل له اكان مصعب يشرب الطلا قال لو علم مصعب ان الماء يفسد مروته ما شربه
حتى يموت عطشا وكان مصعب من اجمل الناس واسخاهم واشجعهم ومما ذكر من حسنه
ما قاله جميل بن معمر قال ما رايت مصعبا يختال بالبلاط الا غرت على بثينة بالحباب
وبين الموضعين ثلاثة ابيات واما المختار فهو ابن ابي عبيد الثقفي ويكنى ابا اسحق
كان يدعو مرة لابن الحنفية واخرى لابن الزبير وهو في ذلك سيء السريرة
حتى تنبا وادعى انه ياتيه الوحي من السما قال ابو عبيدة اخذ سراقة بن مرداس
اسيرا فقدم الى المختار فقال له امنن علي اليوم يا خير معد وخير من لبى وصلى وسجد

فخلى

فخلى سبيله ثم خرج مع الاشعث فاتي به المختار اسيرا فقال له الم اعف عنك
لاقتلنك قال والله لا تفعل ان شا الله تعالى قال ولم قال حدثني ابي انك
تفتح الشام وتهدم دمشق حجرا حجرا وانا معك فخلى سبيله ثم خرج مع
الاشعث ايضا واخذ اسيرا واتي به المختار فقال له الحمد لله الذي امكن
منك هذه ثالثة فقال سراقة اما والله ما هؤلاء الذين اخذوني قال فاين هم قال
لا اراهم انا لما التقينا رايت قوما عليهم ثياب بيض وتحتهم خيل بلق تطير
بين السما والارض فقال المختار خلوا سبيله ليخبر الناس بذلك ثم عاد الى قتاله
وقال

٥ الا من مبلغ المختار عني ٥ بان البلق دهم مصمتات ٥
٥ كفرت بوحيكم وجعلت نذرا ٥ علي قتالكم حتى الممات ٥

وقتل المختار قال عليه السلام يخرج من ثقيف كذاب ومبير فالمختار هو
الكذاب والمبير هواي للملك هو الحجاج قال ولما ظهر لاهل الكوفة سوء معتقده
خرجوا اليه مصعب فطلبوا النصرة عليه فخرج معهم في جمع منهم عباد
بن الحصين وعمرو بن عبد الله بن معمر والمهلب بن صفرة وبكر بن مالك بن مسمع الذي
كان يقال اذا غضب غضب له مائة الف لا يسالونه فيم يغضب
ومالك بن المنذر والاحنف بن قيس وامثالهم فلما وصل الخبر الى المختار خرج
لهم مع ابن شميط فهزمهم حتى بلغ الكوفة فقاتلوا طويلا حتى انهزم اصحاب
مصعب فلما انتهوا الى مصعب جثا على ركبته وكان لا يفر فوقف الناس
عنده فحمل المهلب في اصحاب مصعب على المختار فقصفهم قصفا شديدا فقتل رجال
المختار وجماعة من اصحابه فقاتل حتى قتل اكثر اصحابه وتفرق الناس عنه
فرجع الى قصر الكوفة فلحق به مصعب وقطع عنه الماء والمادة فلما
اشتد الحصار على المختار قال لاصحابه انزلوا بنا نقاتل حتى نموت او يفتح الله
علينا فضعفوا عن ذلك فقال المختار اما انا فلست اعطي بيدي ولا احكمهم
في نفسي فلما سمع اصحابه بذلك خرجوا من القصر هاربين ولم يبق معه الا قليل
فلما راى ذلك ارسل الى امراته ان ابعثي لي حليا كثيرا فاغتسل وتحنط وامر ذلك
على لحيته وراسه وخرج في تسعة عشر رجلا فقاتل حتى مات وتولى قتله طراف
بن زيد الحنفي فذلك قوله كانت بها مهجة المختار في دور لان الكوفة اكثر
البلاد خيلا ورجلا وشنه وشنهم لو منعوه لكنهم غدروا به كما فعلوا بمصعب